قراءةٌ في المنهج التربويّ في توقيعات الناحية المقدّسة

(فليعمل كلّ امرئٍ بما يقرّب من محبّتنا أنموذجًا)

الشيخ علي حرّان عبد الواحد(*)

(*) محقق لدى الهيأة العليا لإحياء التراث/ مركز الشيخ الطوسيّ/ النجف الأشرف.

الملخّص

تمُثل وصايا الإمام الحجّة عجل الله فرجه عنصرًا حيًّا من عناصر التوجيه الإلهي المستمرّ، فهي ليست كلماتٍ عابرة، بل منهج هدايةٍ متكاملٍ للمجتمع الإسلامي في مختلف مجالات الحياة، وممّا يقع محلاًّ للاستفهام هو: كيف تُسهم وصايا الإمام الحجّة عجل الله فرجه الشريف في تربية الفرد المسلم، وتحقيق النهوض الاجتماعي وسط التحدّيات التي تواجه الأمّة في عصر الغَيبة الكبرى؟

جاء البحث مقسّمًا على مقدمةٍ وثلاثة مباحث وخاتمة: أمّا المبحث الأوّل، ففي بيان مفهوم التربية لغةً واصطلاحًا، وعرض القراءة الإسلاميّة لهذا المفهوم. وأمّا المبحث الثاني فتناول الكشف عن دور الأئمّة عليهم السلام في تربية الفرد والمجتمع على حدّ سواء. وأمّا المبحث الثالث فذكرنا فيه ما يتعلّق بمحلّ البحث من نصّ الوصيّة، وبيّنا مصدرها وسندها، وكشف مضامينها العالية، وبيان دورها في التهذيب التربوي للفرد المسلم. ثم ذكرنا في الخاتمة أهم ما توصّل إليه البحث من نتائج.

الكلمات المفتاحيّة:

التربية، الإمام الحجة، أهل البيت عليهم السلام.

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا ومولانا أبي القاسم محمّد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، ولاسيّما بقية الله في أرضه، الإمام الحجّة بن الحسن المهدي عجل الله فرجه الشريف، واللّعنة الدائمة على أعدائهم من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

أمّا بعد، فإنّ التربية ليست منظومةً من القواعد السلوكيّة أو التعليمات الأخلاقيّة فحسب، بل هي مشروعٌ حضاريٌّ شاملٌ، ينطلق من بناء الإنسان في باطنه وظاهره، ويتّسع ليشمل الأسرة والمجتمع والأمّة بأكملها، على وفق رؤيةٍ توحيديّةٍ تربط السلوك بالمبدأ والعقيدة.

وقد سبق الإسلام جميع النظم الأرضيّة في إرساء هذا المشروع التربويّ المتكامل، من خلال تعاليم الوحي الإلهي الذي نزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ومن خلال سيرة أهل بيته الطاهرين عليهم السلام الذين جسّدوا المنهج التربوي الإسلامي بأرقى صوره.

لقد كانت التربية في فكر أهل البيت عليهم السلام تحتلّ مكانةً مركزيّةً، حتى غدت الأساس الذي تُبنى عليه سائر الأبعاد الفرديّة والاجتماعيّة، بل إنّهم عليهم السلام عدّوا تهذيب النفس وتزكيتها مفتاحًا للسعادة في الدارين، وقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من مَلَكَ نفسَه: إذا رغب، وإذا رهب، وإذا اشتهى، وإذا غضب، وإذا رضى، حرّم الله جسده على النار»[1]. وعن الإمام الصادق عليه السلام: «احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيءٌ أعدى للرجال من اتّباع

[١] الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٤/٤٠٠، ح ٥٨٦٠.

أهوائهم، وحصائد ألسنتهم»[١].

وقد وضع أهل البيت منظومةً أخلاقيّةً تكامليّةً من حيث النظريّة والتطبيق، تبدأ من الحثّ على تربية النفس نحو: محاسبة الذات، ومجاهدتها، وكبح جماحها، حيث ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام: «**ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم؛ فإن عمل حسنًا استزاد الله، وإنْ عمل سيئًا استغفر الله منه وتاب إليه**»[٢]

وقد توسّعوا في بيان تفاصيل العلاقات الاجتماعيّة، حتى في الأمور التي قد يراها بعض الناس بسيطة أو عادية، كإلقاء السلام، فقد ورد عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، أولا أدلّكم على شيءٍ إن فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»[٣]، ولم يكتفوا بالأمر بإفشاء السلام، بل بيّنوا آدابه التي منها الحالات التي ينبغي لأصحابها الابتداء في السلام على غيرهم؛ فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «**يسلّمُ الصغيرُ على الكبير، والمارُّ على القاعد، والقليلُ على الكثير**»[٤].

وأكّدوا أنّ الردّ على السلام ينبغي أن يكون مسموعًا، كما ورد عن الامام الصادق عليه السلام: «عن أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ: إِذَا سَلَّمَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْهَرْ بِسَلَامِه، لَا يَقُولُ: سَلَّمْتُ فَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيَّ؛ ولَعَلَّه يَكُونُ قَدْ سَلَّمَ ولَمْ يُسْمِعْهُمْ، فَإِذَا رَدَّ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْهَرْ بِرَدِّه، ولَا يَقُولُ الْمُسَلِّمُ: سَلَّمْتُ فَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيَّ. ثُمَّ قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ عليه السلام يَقُولُ: لَا تَغْضَبُوا، ولَا تُغْضِبُوا، أَفْشُوا السَّلَامَ، وأَطِيبُوا الْكَلَامَ، وصَلُّوا بِاللَّيْلِ، والنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»[٥].

وهذا يبيّن أهميّة الحرص على مشاعر المسلم، وصونها من الخَدشِ

[١] الكليني، الكافي، ٢/ ٣٣٥، باب، اتباع الهوى، ح١.

[٢] المصدر نفسه، ٤٥٣/٢، باب محاسبة العمل، ح٢.

[٣] الطبرسي، حسين النّوريّ، مستدرك الوسائل: ٣٦٢/٨، باب استحباب إفشاء السلام، ح٥.

[٤] الكليني، الكافي، ٦٤٦/٢، باب من يجب أن يبدأ بالسلام، ح١.

[٥] المصدر نفسه، ٦٤٥/٢، باب التسليم، ح٧.

والمهانة، وهذا يُظهر رقيّهم في التعامل مع أدقّ مشاعر الإنسان، ويؤكد أنّ التربية في منهجهم لا تقتصر على الإطار الظاهري، بل تتعداه إلى بناء المشاعر والوجدان.

وفي إطار العلاقات المجتمعيّة، نجد أنّهم عليهم السلام ركّزوا على تعزيز الروابط بين الأفراد، ومن ذلك الحثّ على عيادة المريض، لمّا لها من أثرٍ في التراحم والتلاحم، وقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام: «من عاد مريضًا شيّعه سبعون ألف ملكٍ، يستغفرون له حتى يرجع إلى منزله»[١]. كما حذّروا بشدّة من كلّ ما يُضعف وحدة المجتمع ويهدّد بنيته الأخلاقيّة، كالغيبة والنميمة والحسد والبهتان، حتّى قال الإمام الصادق عليه السلام: «**الغيبة أسرعُ في دِين الرجل المسلم من الاكلة في جوفه**»[٢].

أمّا على مستوى تربية النفس وضبط الشهوات، فقد كانوا روّادًا في تعليم الإنسان كيف يقيّد رغباته، ويزكّي نفسه، ويبتعد عن مدحها أو ذم الآخرين، فمنها قول أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِه، وإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ ... ومَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّه شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ، فَرَحِمَ اللَّه امرأً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِه وقَمَعَ هَوَى نَفْسِه، فَإِنَّ هَذِه النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعًا، وإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوًى، واعْلَمُوا عِبَادَ اللَّه أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ ولَا يُمْسِي إِلَّا ونَفْسُه ظَنُونٌ عِنْدَه ..»[٣].

وأيضًا قول الإمام الصادق عليه السلام: «إنْ قدرتم أن لا تعرفوا فافعلوا، وما عليك أن لم يثنِ الناس عليك، وما عليك أن تكون مذمومًا عند الناس إذا كنت محمودًا عند الله تبارك وتعالى... ثمّ قال: إنْ قدرت أن لا تخرج من بيتك فافعل، فإنّ عليك في خروجك أن لا تغتاب، ولا تكذب، ولا تحسد، ولا ترائي، ولا تتصنع،

[١] المصدر نفسه، ٣/ ١٢٠، باب ثواب عيادة المريض، ح٢.

[٢] المصدر نفسه، ٣٥٧/٢، باب الغِيبة والبهت، ح١.

[٣] نهج البلاغة، ص٢٥٢.

ولا تداهن... ثم قال: إنيّ لأرجو النجاة لمن عرف حقّنا من هذه الأمّة إلاّ لأحد ثلاثة: صاحب سلطان جائر، وصاحب هوى، والفاسق المعلن»[١].

من خلال هذه التعاليم وغيرها، يتّضح أنّ المشروع التربوي عند أهل البيت عليهم السلام ليس جزئيًّا ولا ظرفيًّا، بل هو مشروعٌ متكامل، يعالج النفس والفكر والسلوك، ويؤسّس لمجتمعٍ متماسكٍ مبنيّ على المحبّة والاحترام، ومشحونٍ بالمسؤوليّة الأخلاقيّة.

وفي هذا السياق، تأتي وصيّة الإمام الحجّة عجل الله فرجه، وهي من النصوص النادرة التي وردت عنه، محمّلةً بمعانٍ أخلاقيّةٍ وتربويّةٍ عظيمة، وبخاصّة المقطع الآتي: «فليعمل كلّ امرئٍ منكم بما يقرّبه من محبّتنا، ويتجنّب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا».

وقد كان هذا المقطع محورًا لهذا البحث، إذ يجمع في ألفاظٍ قليلةٍ بين الإيمان العملي، والمراقبة الداخليّة، والسير التربوي نحو الكمال؛ لذا، كان من الضروري الوقوف على مفهوم التربية في اللّغة والاصطلاح، والكشف عن أدوار الأئمّة عليهم السلام في تهذيب الإنسان والمجتمع، ثم الغوص في عمق الوصيّة الشريفة، وبيان أبعادها الروحيّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة، ونسأل الله تعالى التوفيق لما يحبّ ويرضى إنّه جواد كريم.

[١] الكليني، الكافي، ١٢٨/٨، باب لا يقبل الله تعالى عملاً إلاّ بولاية أهل البيت عليهم السلام، ح٩٨.

المبحث الأوّل

مفهوم التربية لغةً، واصطلاحًا، والقراءة الإسلاميّة له

أولًا: التربية في اللّغة: التربية في اللّغة مشتقةٌ من الجذر الثلاثي (رَبَا)، والذي يدل على الزيادة والنماء، ومن ذلك قولهم: ربا الزرع إذا نما وزاد، وقولهم: ربَّ الولد، أي نشّأه ونمّاه تدريجًا. والتربية: بمعنى التغذية والتنشئة، يقال: رَبَّ الشيءَ يربّه ربّا وتربية إذا غذّاه ونمّاه[١]، إذًا، المعنى اللّغوي يُشير إلى الإنماء والرعاية المستمرّة، وهذا يناسب جوهر العمليّة التربويّة التي تستهدف الارتقاء بالإنسان من حالٍ إلى حال.

ثانيًا: التربية في الاصطلاح: أمّا اصطلاحًا، فقد تعددّت تعاريف التربية بتعدّد المدارس الفكريّة والمناهج التربويّة، ولكنّها تتفق في محورها الأساس، وهو تنمية الإنسان من الجوانب المختلفة. فأكمل وأدقّ ما وجدناه هو ما عرّفه الشيخ الطوسيّ (رضوان الله تعالى عليه) في كتابه التبيان، حيث قال: «التربية: وهي تنشئة الشيء حالاً بعد حالٍ حتّى يصير إلى الكمال»[٢].

فعليه يمكن تعريفها: بأنّها تنميةٌ وتوجيهٌ شاملٌ ومتكاملٌ لقدرات الإنسان الروحيّة، والعقليّة، والجسديّة، والاجتماعيّة، بما يحقّق له التوازن المطلوب في الحياة الدنيا والآخرة، من خلال تنمية قدراته العقليّة، والجسديّة، والروحيّة، والاجتماعيّة حتى يصل إلى مرتبة الكمال، وهي أسمى المراتب.

ثالثًا: القراءة الإسلاميّة لمفهوم التربية: أمّا في السياق الإسلامي فإنّه يركّز الإسلام على التربية، فهي ليست إعدادًا دنيويًّا فقط، بل إعدادٌ للحياة الأبديّة، فهي إعداد الإنسان ليكون عبدًا صالحًا لله، خليفة في الأرض، نافعًا لمجتمعه، مجاهدًا

[١] ابن منظور، لسان العرب، ١/٤٠١-٤٠٢.

[٢] الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٤/٣٣٧.

لهواه، تقيًّا في نفسه، مستقيمًا في سلوكه، فالتربية هي جوهر الرسالات السماويّة، فالرسالات السابقة قامت بالحثّ على السيرة الحسنة وعلى بناء مجتمعٍ سليمٍ متماسك، فارشد القرآن الكريم لهذه المبادئ أيضًا بقوله:﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾[١]، فالرسالة النبويّة قائمةٌ على التزكية أوّلًا، والتعليم ثانيًا، فالتربية تأتي قبل التعليم.

وفي التصور الإسلامي، ترتبط التربيّة بمهمة الإنسان الكبرى في الحياة: العبوديّة لله تعالى، وعمارة الأرض، والخلافة الربانيّة. وقد تكرّرت مفردات (تزكية النفس)، و(تهذيب السلوك)، و(تقوى الله) في نصوص القرآن والحديث الشريف، ممّا يدل على أهميّة هذا المفهوم، فقد قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾[٢].

ويمكن تلخيص خصائص التربية الإسلاميّة في النقاط الآتية:

١. ربانيّة المصدر: فهي مستمدّةٌ من الوحي، لا من التجارب البشريّة فقط.
٢. شموليّة الأبعاد: تشمل العقل، القلب، السلوك، المجتمع، والغاية النهائيّة.
٣. مستمرّة ومتكاملة: تبدأ من الطفولة، ولا تنتهي في أيّ مرحلةٍ من العمر.

[١] سورة الجمعة، الآية: ٢.

[٢] سورة الشمس، الآيتان: ٩-١٠.

المبحث الثاني

دور الأئمّة عليهم السلام في تربية الفرد والمجتمع

أولًا: دور الأئمّة عليهم السلام في تربية الفرد: يمثّل الأئمّة الاثنا عشر عليهم السلام الامتداد الحقيقي للنبيّ صلى الله عليه وآله في أداء الوظيفة التربويّة، وقد مارسوا دورهم هذا في مختلف الظروف، رغم القمع والاضطهاد، وقد تمثّلت عناصر التربية الفرديّة في تعاليمهم في مجالاتٍ ونواحٍ كثيرةٍ، منها:

١. التزكية الروحيّة: كما في دعاء الإمام السجاد عليه السلام: «اللّهم طهّر قلبي من النفاق، وعملي من الرياء، ولساني من الكذب، وعيني من الخيانة..»[١].

٢. تقوية الإرادة ومحاسبة النفس: كما قال الإمام الكاظم عليه السلام: «ليس منّا من لم يحاسب نفسه كلّ يوم، فإنْ عمل خيراً استزاد، وإنْ عمل شرًّا استغفر الله وتاب إليه»[٢].

٣. تعميق العلاقة بالله عبر الدعاء والمناجاة: فالدعاء والمناجاة تقرب من الذّات المقدّسة حيث تجعلك ترى الله في كلّ شيءٍ ولا تخاف دونه شيء، فتقويّة العلاقة بالله العظيم هو السلّم الأساس للرقي في أعلى درجات ومراتب اليقين، فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينًا»[٣].

ثانيًا: دور الأئمّة في تربية المجتمع: إلى جانب تربية الأفراد، اهتمّ الأئمّة عليهم السلام ببناء مجتمعٍ قائمٍ على العدالة والرحمة والمعرفة، ومن أبرز ملامح هذا الدور:

١. مواجهة الظلم والانحراف: كما فعل الإمام الحسين عليه السلام في نهضته.

[١] الطوسي، مصباح المتهجّد، ص٥٩٩.

[٢] الكليني، الكافي، ٢/ ٤٥٣، ب، محاسبة العمل، ح٢.

[٣] ابن شاذان، الروضة، ١/ ٢٣٥.

٢. تأسيس القيم الإسلامية في العلاقات الاجتماعيّة، مثل احترام الحقوق، وإقامة العدل، ومراعاة الضعفاء.

٣. إرساء مبدأ المسؤوليّة الجماعيّة: حيث أكّدوا على أنّ المجتمع مسؤول عن بعضه، ولا سيّما في النهي عن المنكر.

وقد جمع الإمام علي عليه السلام بين الفكر التربويّ والسياسي والاجتماعي، ويظهر ذلك بقوّةٍ في جملة وصاياه وكلماته، ولا سيّما في وصاياه لولده الحسن عليه السلام وفي عهده لمالك الأشتر. وهما من أهم النصوص الخُلقيّة والتربويّة التي وردت عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذان النصّان يحتويان على مضامين أخلاقيةٍ وتربويةٍ عالية، تُعدّ من أنضج ما في التراث الإسلامي في هذا المجال، وفيما يأتي بعض ما جاء فيها:

أولًا: من وصيّته للإمام الحسن عليه السلام[1]، ويستفاد منها:

١. وصية بالتقوى ومحاسبة النفس: «فَإِنِيِّ أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّه أَيْ بُنَيَّ ولُزُومِ أَمْرِه، وعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِه والاِعْتِصَامِ بِحَبْلِه».

٢. التربية على كراهة النقاش دون علم، وإبداء الرأي دون طلب: «ودَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لاَ تَعْرِفُ، والْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ».

٣. الحثّ على الاستفادة من تجارب الغير: «ويَشْتَغِلَ لُبُّكَ لتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الأَمْرِ، مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَه وتَجْرِبَتَه، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَئُونَةَ الطَّلَبِ، وعُوفِيتَ مِنْ عِلاَجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيه، واسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْه».

٤. التوسّط في الأخلاق ومقياس الامتثال: «ولاَ تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وقَدْ جَعَلَكَ اللَّه حُرًّا».

[1] نهج البلاغة، ٣٩٢-٤٠١.

ثانيًا: من عهده عليه السلام لمالك الأشتر [١]، ويُستفاد منه:

١. العدل والرحمة بالرعية، وعدم الشدّة في تتبع العثرات: «وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، والْمَحَبَّةَ لَهُمْ واللُّطْفَ بِهِمْ ... يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ وتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، ويُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ والخطأ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وصَفْحِكَ، مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّه مِنْ عَفْوِه وصَفْحِه».

٢. الاهتمام بالعلماء وأهل الورع، وأخذ الحكمة منهم: «وأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ، ومُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ، فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْه أَمْرُ بِلاَدِكَ، وإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِه النَّاسُ قَبْلَكَ».

٣. العفو والتسامح لله، وعدم الاستعجال في اتّخاذ القرار مع سعة الوقت: «ولاَ تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ ولاَ تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ، ولاَ تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً».

٤. ستر العيوب المخفيّة والتعامل على ما هو ظاهر: «فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلاَ تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، واللَّه يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ».

من هذا المنطلق نستعرض نماذج من الدروس التربويّة وروائع الأئمّة المعصومين عليهم السلام، مستشهدين لمواضع الحاجة بنقطتين:

١. الإمام الحسن عليه السلام مع الشامي [٢]:

روى الشيخ الصدوق أنّ شاميًا لقي الإمام الحسن عليه السلام فشتمه بألفاظ قاسية، فابتسم الإمام وقال له: «أظنك غريبًا... فإنْ كنت محتاجًا أعطيناك، وإنْ كنت جائعًا أطعمناك... »، حتى رقّ قلب الشامي وبكى، ثم قال: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

[١] نهج البلاغة، ص٤٢٧-٤٢٩.

[٢] ابن شهر آشوب، المناقب، ٤/ ١٩.

العبرة:

أ- التعامل مع الجهل بالحلم والرفق لا بالعنف والانتقام.

ب- احتواء الخصم وتحويل العداء إلى محبّة بالموقف الحكيم.

٢. الإمام الحسين عليه السلام والعفو مع عبيده[١]: روي أنّ خادمًا لأبي عبد الله الحسين عليه السلام جنى جنايةً فعندما أخذ ليعاقب، قال الخادم: يا مولاي، إنّ الله يقول: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**﴾، فقال له الإمام: «كظمتُ غيظي». قال الخادم: ﴿**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**﴾، فقال الإمام: «عفوتُ عنك». قال الخادم: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢]، فقال الإمام: «أنت حرٌّ لوجه الله، ولك ضعف ما كنت أعطيك».

العبرة:

أ- كيفيّة ضبط النفس والتدرّج بها نحو الأفضل.

ب- ترويض النفس للاستجابة لكتاب الله دون تريض.

٣. الإمام زين العابدين عليه السلام ودعاء مكارم الأخلاق: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه، وبَلِّغْ بِإِيمَانِي أَكْمَلَ الإِيمَانِ، واجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ... وصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِينِي، واسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي»[٣].

العبرة:

أ- أهميّة طلب التنمية الروحيّة المستمرة، وعدم القناعة بالموجود.

ب- دعاء يربط الترقّي الأخلاقي بالله تعالى، لا بالغرور الشخصي.

---

[١] الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة، ٢٤١/٢.

[٢] سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

[٣] الصحيفة السجاديّة، ص٩٢.

٤. الإمام الباقر عليه السلام وضابطة الأخوة: قال عليه السلام: «إنّ المؤمن أخو المؤمن، لا يشتمه، ولا يحرمه، ولا يسيء به الظن»[١].

العبرة:

أ- الدعوة للتضامن وعدم التفكّك في جميع الأحوال.

ب- الدعوة الى حسن السيرة والمعاشرة بين المؤمنين.

٥. الإمام الصادق عليه السلام وتربية أصحابه على الدقّة، قال الإمام الصادق عليه السلام: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد، والصلاة والخير...»[٢].

العبرة:

أ- أهميّة الدعوة الصامتة عبر السلوك الحسن.

ب- أثر العمل الصالح أقوى من مجرّد الكلام.

٦. الإمام الكاظم عليه السلام، وأثر كظمه للغيظ[٣]: يذُكر أنّ رجلاً من أهل المدينة كان يؤذي الإمام الكاظم عليه السلام ويشتمه كلما رآه، وكان أصحابه يقولون له: (دعنا نقتله)، فيأبى عليه السلام ذلك، فخرج الإمام عليه ذات مرة وذهب إلى ضيعةٍ له خارج المدينة، فرآه ذلك الرجل فصاح: لا تطأ زرعنا. فتوطأه بالحمار، حتى وصل إليه، فنزل وجلس عنده، وضاحكه، وقال له: «كم غرمت في زرعك هذا؟» قال له: مائة دينار.

قال: «فكم ترجو أن تصيب فيه؟» قال: لا أعلم الغيب.

قال: «إنما قلت لك: كم ترجو فيه؟» قال: أرجو أن يجيئني مائتا دينار.

[١] الكليني، الكافي، ١٦٧/٢، ب، إجلال الكبير، ح٨.

[٢] المصدر نفسه، ٧٨/٢، ب، الورع، ح١٤.

[٣] الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة، ص٣١١.

قال: فأعطاه ثلاثمائة دينار، وقال: «هذا زرعك على حاله»، قال: فقام الرجل فقبل رأسه، وانصرف، وصار يقول: (الله أعلم حيث يجعل رسالته).

العبرة:

١- تهذيب النفس بكظم الغيظ والعفو.

٢- إصلاح المجتمع بإطفاء نار العداوة بالحلم.

٧. الإمام الرضا عليه السلام وتهذيب النفس[١]: «من كنوز البر: إخفاء العمل، والصبر على الرزايا، وكتمان المصائب»

العبرة:

أ- التحذير من الوقوع في العجب والرياء بأمره بالكتمان.

ب- تهذيب النفس وجعلها بأعلى المراتب وهي مرتبة الصبر والاحتساب.

٨. الإمام الجواد عليه السلام، والتحذير من هوى النفس[٢]: قال الإمام الجواد عليه السلام: «من أطاع هواه أعطى عدوّه مناه».

العبرة:

أ- تربية النفس على مقاومة الشهوات والانفعالات.

ب- الاستسلام للهوى يُضعف الإنسان أمام أعدائه.

٩. الإمام الهادي عليه السلام، وأثر احترام النفس[٣]: قال عليه السلام: «مَن هانت عليه نفسُه فلا تأمَن شرَّه».

العبرة:

أ- زرع كرامة النفس والاعتزاز بها في النفس البشريّة.

---

[١] الشيخ القمي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ٤١/٢، ح١٠٥.

[٢] العاملي، محمد بن مكي، الدرّ الباهرة، ص٤٠، ح٥.

[٣] الحرّاني، تحف العقول، ص٤٨٣.

ب- الانحراف الأخلاقي يبدأ من احتقار الذات.

١٠. الإمام العسكري عليه السلام، أهمية فعل المعروف[١]: قال: «إنّ في الجنّة لبابًا يقال له: المعروف، لا يدخله إلاّ أهل المعروف».

العبرة:

أ- حثّ النفس على خدمة الآخرين.

ب- بناء مجتمعٍ متعاونٍ متراحم.

المبحث الثالث

دراسة تحليليّة لوصية الإمام الحجّة عجل الله فرجه، ومضامينها التربويّة

أوّلًا: نصّ الوصيّة ومصدرها:

الوصيّة محلّ البحث، فقد وردت في كتاب المزار للشيخ المفيد[٢]، وكتاب الاحتجاج للطبرسيّ[٣]، وكتاب الوافي للفيض الكاشانيّ[٤]، وغيرها من المصادر[٥] ، فقد تواتر نقلها في الكتب، وقد ذكرت ضمن وصايا الإمام الحجّة عجل الله فرجه، وجاءت ضمن رسالةٍ شريفةٍ طويلة خاطب بها الإمام عجل الله فرجه شيعته في غَيبته الصغرى، ولها مضامين عالية، وكلمات ذات معنى دقيق، لا يسع المقام استعراضها؛ فأخذنا مقطعًا من كلامه (صلوات الله عليه)، وهو درسٌ متكاملٌ لبناء مجتمعٍ سليمٍ، وقد جاء فيه: «فليعمل كلّ امرئٍ منكم بما يقرّبه من محبّتنا، ويتجنّب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا».

---

[١] قطب الدِّين الراونديّ، مكارم أخلاق النبيّ والأئمّة عليهم السلام، ص٣٧٧، ح٥٣٢.

[٢] الشيخ المفيد، المزار، ص٨-٩.

[٣] الطبرسي، الاحتجاج، ٣٢٣/٢-٣٢٤.

[٤] الفيض الكاشانيّ، الوافي، ٢٦/ ٢٨٦.

[٥] البروجرديّ، طرائف المقال، ٤٨١/٢-٤٨٢، التبريزي، ملاّ علي، بهجة الآمال في شرح زبدة المقال، ٥٩٣/٦؛ الحائريّ، إلزام الناصب، ٤٠٧/١-٤٠٨، وغيرها.

هذا النصّ الموجز يختصر برنامجًا تربويًا عظيمًا، فحديث الإمام عليه السلام له أبعادٌ ماديّةٌ ومعنويّةٌ، لا تختصّ بزمانٍ دون آخر، فهي سيّالةٌ في جميع الأمكنة والأزمنة؛ لكون لسانهم لسان الوحي الإلهي على جميع خلقه، فهم القرآن الناطق، والبلاغ الصادق، والنور الساطع، فكلامهم فيه ظاهر وباطن، وكما للقرآن سبعة أبطن[١] فكلامهم كذلك، ولكن لقصور عقولنا عن فهم إدراك معاني وحي كلامهم ومقاصده، لا تنكشف لنا جميع الحقائق المخفيّة إلّا لأولياء الله الصالحين، فكلامهم صعبٌ مستصعب، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «يا جابر، حديثنا صعبٌ مستصعب، أمرد ذكوار، وعر أجرد، لا يحتمله والله إلّا نبيٌّ مرسل، أو مَلَكٌ مقرّب، أو مؤمنٌ ممتحن، فإذا ورد عليك يا جابر شيءٌ من أمرنا فلان له قلبك فأحمد الله، وإنْ أنكرته فردّه إلينا أهل البيت، ولا تقل كيف جاء هذا، وكيف كان وكيف هو، فإنّ هذا والله الشرك بالله العظيم »[٢].

فكلامهم فوق كلام الأنبياء فضلاً عن سائر الناس، فمع هذا الفهم القليل الذي ندركه لا تكاد أنامل الكتاب أن تملي مقاصده ومفاهيمه فضلاً عن فهمها، وما عسانا إلّا أن نقول: هو أعلم حيث يجعل رسالته.

ثانيًا: تحليل المفردات والعبارات:

١- «فلْيَعملْ»: أمرٌ صريحٌ يدعو إلى التحرّك العملي والتكليف الجاد، وهو بذلك يُرشد إلى أنّ الانتظار السلبي، أو الاقتصار على الولاء العاطفي، ليس كافيًا في مشروع الارتباط الحقيقي بأهل البيت عليهم السلام، بل المطلوب هو العمل الواعي المثمر، الذي ينبثق عن فهمٍ ومعرفة، لا مجرّد حركةٍ خالية من البصيرة، وقد يتضمّن عدّة جوانب:

أوّلًا: العلاقة بين العمل والمعرفة: إنّ العمل إذا لم يُبنَ على المعرفة، يكون كمن يسير في الظلام، وقد جاء في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام:

[١] الفيض الكاشانيّ، تفسير الصافي، ٣١/١.

[٢] الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ٤٣٩/٢.

«الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ، لَا يَزِيدُه سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلَّا بُعْدًا»[١]. فالعمل المطلوب هو ما كان منسجماً مع البصيرة، والمستند إلى المعرفة الحقّة؛ ولهذا نجد في القرآن الكريم اقترانًا متكررًا بين الإيمان والعمل الصالح، وهو دليلٌ على ضرورة أنّ ينبثق العمل من وعي إيماني، فقد قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**﴾[٢]، ﴿**وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾[٣]، وغيرها[٤].

ثانيًا: المعرفة مقدَّمةٌ على العمل: جاء في روايات أهل البيت عليهم السلام تأكيدٌ متكرّرٌ على أنّ المعرفة مقدّمةٌ على العمل، بل لا يُعدّ العمل مقبولاً شرعًا إلّا إذا صدر عن معرفةٍ سليمة.

وقد ورد في الحديث الشريف: «أوّلُ الدين معرفته»[٥]، أي معرفة الله تعالى، وهي الأصل الذي ينبني عليه سائر الإيمان والسلوك. وفي دعاء الامام الصادق عليه السلام: «اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي...»[٦]، وفيه يتّضح أنّ المعرفة (بالله، فالنبيّ، فالحجة) هي مفتاح الهداية والعمل السليم. وكما جاء في دعاء الإمام الحجّة عجّلَ اللهُ فَرَجَه: «اللّهم ارزقنا توفيق الطاعة،

[١] الكليني، الكافي، ٤٣/١، ب: من عمل بغير علم، ح١.

[٢] سورة النور، الآية: ٥٥.

[٣] سورة العصر، الآيات: ١-٣.

[٤] سورة البقرة، الآية: ٢٥؛ النساء، الآية: ٥٧؛ يونس، الآية: ٩. وغيرها.

[٥] نهج البلاغة، ٣٩.

[٦] الكليني، الكافي، ١/ ٣٣٧، باب: في الغَيبة، ح٥.

وبعد المعصية، وصدق النيّة، وعرفان الحرمة، وأكرمنا بالهدى والاستقامة، وسدّد ألسنتنا بالصواب والحكمة، واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة..»[١]، وهذا دعاءٌ صريحٌ في تقديم طلب المعرفة والعلم على سائر المطالب التوفيقيّة، وهو دليل على أنّ البصيرة هي روح العمل.

ثالثًا: تكامل النفس والحواس: حين يأمر الإمام عليه السلام بـ (العمل)، فلا يُراد به مجرد حركة الجوارح، بل استجابة شاملة من الإنسان كله: حواسّه، وعقله، وروحه. فالعمل في منطق أهل البيت عليهم السلام يجب أن يُعرض أولاً على العقل، ويخضع لموازين الشريعة، ويحكّمه الوعي المستند إلى علومهم عليهم السلام، ومن هنا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أَلَا وإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يَقْتَدِي بِه - ويَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِه»[٢]. فقد تبيّن من ذلك أنّ الأمر بـ (العمل) في كلام الإمام عليه السلام ليس دعوةً إلى الجهد المجرّد، بل هو دعوة إلى العمل المعرفي الناضج، الذي يقوم على البصيرة، ويهتدي بهدى أهل البيت عليهم السلام، ويُعرض على العقل قبل أن يصدر من الجوارح، فالعمل لا يُطلب بذاته، بل يُطلب بما هو تجلٍّ للمعرفة، وتطبيقٌ للولاء الحقيقي، وعنوانٌ على صدق المحبّة، وهذا ما تتأسّس عليه مدرسة الانتظار والعمل.

٢- «كلّ امرئٍ»: الظاهر من عبارته (صلوات الله عليه) مع التجرّد من قرينة السياق والانصرافات اللّفظية هو الإطلاق العمومي الاستيعابي. فإنّ لفظ (امرئ) شاملٌ لكلّ أفراد الانسان من دون استثناء فردٍ معين، فهو شبيهٌ بقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۞ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**﴾[٣]. فقوله عليه السلام تعبيرٌ ذو دلالة شموليّة مطلقة، لا تقف عند حدود التكليف الشرعي الضيّق، بل تتجاوزه إلى معنى أوسع وأشمل، فهي دالّةٌ على

[١] الكفعمي، البلد الأمين، ص٣٤٩.

[٢] نهج البلاغة: ٤١٧.

[٣] سورة عبس، الآيات: ٣٤-٣٧.

العموم الاستيعابي، حيث يكون شاملاً لجميع أفراد المجتمع، على اختلاف طبقاتهم ومواقعهم، إذ يحمل دلالةً على مسؤوليّة التكوين التربوي العام، لا باعتبار التكليف الفقهي فحسب، بل باعتبار القابلية الغريزيّة والاستعداد الفطري للاكتساب والتلقّي لعموم جنس الإنسان، ما يجعل كلّ فردٍ معنيًا بمسار التهذيب والتكميل ضمن سنن الله في خلقه.

٣- «بما يقرّبه من محبّتنا»: إنّ تعبير الإمام عليه السلام بـ «بما يُقرِّبه من محبَّتنا» يحيل إلى مفهومٍ غنيٍّ بالمعاني والدلالات العَقَديّة والروحيّة والسلوكيّة، يستدعي الوقوف عند حقيقة (المحبّة) ومعناها في لسان العرب وفي نصوص الشريعة، مع بيان مراتبها وتجلّياتها وآثارها الواقعيّة.

أولًا: في معنى الحبّ:

أ- لغويًّا: قال ابن فارس: «الحاء والباء أصلٌ يدلّ على لزوم الشيء، وثباته؛ ومنه قيل: حبّ البعيرُ مكانَه، إذا لزمه، فالحبّ في أصله يدلّ على التعلّق والثبات والدوام»[١]. وقال الراغب الأصفهاني: «الحبّ ميل النفس إلى الشيء، وقد يُعبر عنه بالعشق إذا غلب، فالحبّ ليس انفعالاً عابرًا، بل ارتباطٌ وجدانيٌّ راسخ»[٢].

ب- اصطلاحًا كما عرّفه ابن حزم الأندلسيّ: «الحبّ: اتصالٌ بين النفوس في أصل عنصرها الرفيع، ممّا يجعله تجربةً روحيّةً عميقةً تتجاوز الظواهر الخارجيّة، فلا يقتصر الحبّ على حسن الصوت وجمال الصورة، بل اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة» [٣]. وفي هذا المعنى جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «هل الدِّين إلّا الحبّ»[٤]، فبينّ أنّ الحبّ ليس خارجًا عن دائرة الإيمان، بل هو جوهره، حين يكون لله وفي الله.

[١] ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، ٢/ ٢٦.

[٢] الراغب الأصفهانيّ، المفردات في غريب القرآن، ص١٠٥.

[٣] ابن حزم، طوق الحمامة، ص١٣.

[٤] الصدوق، الخصال، ص٢١، ح٧٤.

ثانيًا: مراتب الحبّ وأنواعه: يمكن تقسيم الحبّ بحسب المتعلّق والمقام إلى مراتب:

١. الحبّ الإلهي: وهو أشرفها وأعلاها، يتمثّل في محبّة الله ورسوله وأوليائه، بحيث يُقدَّم على كلّ محبوب، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «مِنْ أَوْثَقِ عُرَى الإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّه، وتُبْغِضَ فِي اللَّه، وتُعْطِيَ فِي اللَّه، وتَمْنَعَ فِي اللَّه»[١]. وفي حديثٍ آخر عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «لا يؤمن عبدٌ حتى أكون أحبّ إليه من نفسه، وتكون عترتي إليه أعزَّ من عترته، ويكون أهلي أحبَّ إليه من أهله، وتكون ذاتي أحبَّ إليه من ذاته»[٢]، وهذا المعنى الحقيقي للانسجام الروحي والذوبان المعنوي في المحبوب.

٢. محبّة النبيّ وأهل بيته عليهم السلام: وهي من لوازم الإيمان وشرائط النجاة، كما دلّت عليه الأخبار المتواترة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله بخصوص السيّدة الزهراء عليها السلام: «فاطمة بضعة مني، فمَن آذاها فقد آذاني، ومَن سرّها فقد سرّني، ومَن غاظها فقد غاظني»[٣]، وهذا يشير إلى وحدة الروح بين النبيّ صلى الله عليه وآله، والسيّدة الزهراء عليها السلام، بل بين أهل بيته عليهم السلام، وأنّ محبّتهم تجلٍّ لمحبّة الله ورسوله.

٣. الحبّ الفطري: كحبّ الوالدين، والأبناء، والأزواج، والإخوان، وهو ثابتٌ في الشرع والعقل، وقد عدّه القرآن أمرًا فطريًّا واجب الرعاية: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿**وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾[٥].

---

[١] الكليني، الكافي، ٢/ ١٢٥، باب الحبّ في الله والبغض في الله، ح٢.

[٢] الصدوق، علل الشرائع، ١/ ١٤٠، باب لعلّة التي من أجلها وجبت محبّة الله تبارك وتعالى، ح٣.

[٣] الطوسي، الأمالي، ص١٦٥.

[٤] سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

[٥] سورة الروم، الآية: ٢١.

٤. الحبّ الأخلاقي (العقلي): ويتجلّى في حبّ الحق والخير والعدل والعلم، وهو ما يسمو بالإنسان ويقوّيه على تهذيب النفس وخدمة الآخرين، ويُعدّ من دلائل العقل.

٥. الحبّ الشهواني: وهو ما كان محصورًا في الرغبات الجسديّة، فإنّ انضبط بإطار الزواج كان محمودًا، وإلّا فهو مذمومٌ شرعًا وعقلًا.

ثالثًا: صفات الحبّ الحقيقي: الحبّ الذي يكون باعثًا على القرب من محبّة أهل البيت عليهم السلام لا يكون حبًّا أجوف، ولا مجرّد شعور وجداني، بل يتميّز بجملةٍ من السمات:

- الإخلاص والتجرّد عن المصلحة.
- الدوام والثبات.
- الموافقة السلوكيّة مع المحبوب.
- الظهور في مقام العمل لا القول فقط.

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من أحبّك نهاك، ومن أبغضك أغراك»[١]، أي أنّ الحبّ الحقيقي باعثٌ على الإصلاح، لا على التزيين والغرور.

بل إنّ أحد أبرز مصاديق هذا الحبّ هو الولاء، كما يظهر في حديث أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أَصْدِقَاؤُكَ ثَلَاثَة، وأَعْدَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ، فَأَصْدِقَاؤُكَ: صَدِيقُكَ، وصَدِيقُ صَدِيقِكَ، وعَدُوُّ عَدُوِّكَ، وأَعْدَاؤُكَ: عَدُوُّكَ، وعَدُوُّ صَدِيقِكَ، وصَدِيقُ عَدُوِّكَ»[٢]، وقيل للصادق عليه السلام: «أنّ فلانًا يواليكم، إلاّ أنّه يضعف عن البراءة من عدوّكم، قال: هيهات، كذب من ادّعى محبّتنا ولم يتبرأ من عدوّنا»[٣]، وهذا يدقّق في مراتب الولاء والبراءة كعلاماتٍ للمحبّة الإيمانيّة.

[١] الكراجكيّ، كنز الفوائد، ص١٢٨.

[٢] نهج البلاغة، ص٥٢٧- ٥٢٨.

[٣] الحِليّ، محمد بن منصور، مستطرفات السرائر، ص٦٤٠.

رابعًا: التجلّي السلوكي للمحبّة: لقد شدّدت نصوص أهل البيت عليهم السلام على أنّ المحبّة الحقيقيّة لهم لا تُقاس بالادّعاء، بل بما يظهر في الأفعال؛ ولهذا جعلوا العمل الموافق لأمرهم هو المعيار، فقد قال عليه السلام أيضًا: «فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا وَرِعَ فِي دِينِه، وصَدَقَ الْحَدِيثَ، وأَدَّى الأَمَانَةَ، وحَسُنَ خُلُقُه مَعَ النَّاسِ، قِيلَ: هَذَا جَعْفَرِيٌّ، فَيَسُرُّنِي ذَلِكَ، ويَدْخُلُ عَلَيَّ مِنْه السُّرُورُ، وقِيلَ: هَذَا أَدَبُ جَعْفَرٍ.. »[١].

خامسًا: تجلّي محبّة الله في محبّة النبي وآله: إنّ حبّ النبيّ صلى الله عليه وآله هو تجلٍّ لحبّ الله، وكلّ ما يحبّه النبيّ فإنّما هو محبوبٌ عند الله، لما علمه في مكنون غيبه وسرّه من خالص طاعته صلى الله عليه وآله له تعالى؛ ولذلك سمي بـ (حبيب الله)، فتجلّى هذا الحب حتى نسب الله تعالى إليه هذه الصفة في خطاباته الكثيرة، ومنها ما ورد في الحديث القدسي: «فيأتي النداء من قبل الله جلّ جلاله، يسمع النبيين والصديقين والشهداء والمؤمنين: هذا حبيبي محمد، وهذا وليي علي، طوبى لمن أحبّه، وويل لمن أبغضه وكذب عليه»[٢]، وقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾[٣]، وهذا المعنى يسري إلى أهل بيته عليهم السلام، فهم أحبّ الخلق إليه، وأحبّهم الله بحبّه لهم وعلمه تعالى بهم، فأمر مودتهم في كتابه، فقال: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾[٤].

الخلاصة: يتّضح أنّ قول الإمام عليه السلام «بما يقرّبه من محبّتنا» ليس دعوةً عاطفيّةً فحسب، بل هو معيارٌ معرفيٌّ وسلوكيٌّ جامع، يشمل الارتباط العَقَدي، والولاء العملي، والسلوك الأخلاقي، بحيث يصبح هذا الحبّ طريقًا للكمال، وسبيلًا للنجاة، وعنوانًا للهُدى، ومن هنا، فإنّ حبّ أهل البيت عليهم السلام ليس دعوى تُرفع، بل عهد يُوفى، وسلوك يُقتدى، وميزانُه: العمل الصالح.

---

[١] الكليني، الكافي، ٢/ ٦٣٦، باب ما يجب من المعاشرة، ح٥.

[٢] الطوسي، الأمالي، ص١٧٩.

[٣] سورة آل عمران، الآية:٣١.

[٤] سورة الشورى، الآية: ٢٣.

٤-«ويتجنّب ما يدنيه»: وهو مضارعٌ يدلّ على الاستمرار والمداومة، ما يفيد أنّ المطلوب من المؤمن أن يكون في حالةٍ دائمةٍ من التحرّي والحذر من الوقوع في مواضع السخط، وقد يختلف عن الترك كما هو واضح، فإنّ الاجتناب أعمّ من الترك وأوسع، فقد قال الله تعالى: ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**﴾[١]، فإنّ الاجتناب الخطوة الأولى - وهي الأهمّ - للحذر من الوقوع في المحذور، فقد يحصل الاجتناب بترك المشبوه أو المكروه مثلاً؛ بغية ترك المحرّم، فقد عبّر (صلوات الله عليه) بهذا التعبير لبيان أنّ كلّ أمرٍ تشكّ أو تحتمل أنّه يوقعك في المحذور لابدّ من الهرب منه والابتعاد عنه، دون الانتظار الى حين الوقوع فيه ثمّ التأمّل بالترك، فيعدّ هذا الأمر خطوةً تحذيريّةً وقائيّةً، فإنّ الوقاية خيرٌ من العلاج. فالتعبير بالدنو فيه إشارةٌ إلى شدّة خطورة الاقتراب من المعصية أو موارد السخط، لا خصوص الوقوع فيها، وهذا امتدادٌ لمبدأ الورع.

٥-«من كراهتنا وسخطنا»: البلاغة في التعبير أنّ الإمام لم يقل: (يتجنب سخطنا)، بل قال: «ما يدنيه من سخطنا»، وفي هذا تعليمٌ على درجةٍ عاليةٍ من التوقّي والورع، وهي مرتبةٌ أعلى من اجتناب المحرّمات، بل حتّى كلّ ما يشكّل مدخلاً أو مقدّمةً للبعد عن الإمام.

وهذا المقطع من الوصية الشريفة يحمل معاني عَقَديّةً عميقةً قد يطول الغوص فيها، والكلام عنها، ولكن سنشير بما يسعه المقام لذكره. حملت هذه الكلمتان معنًى عَقَديًا كبيرًا، له أبعادٌ وجوانبُ عميقة، وقد يستفهم بقول: لماذا لم يعبّر الامام عليه السلام بـ (سخط الله)، بل عبّر بـ «كراهتنا»، و«سخطنا» حيث نسبها لهم (صلوات الله عليهم)؟ فيجاب على ذلك: أنّ هذا الخطاب لا ينطلق من خطابٍ أخلاقي مجرّد، بل من أصلٍ عَقَديّ وفلسفيّ في التشيع، وهو أنّ الإمام ليس شخصًا معصومًا فقط، بل هو وجه الله الذي يُؤتى منه، وسخطه تعبيرٌ عن سخط الله، والقرب منه قرب من الله، وأنّ الإمامة امتدادٌ للولاية الإلهية، فقد

[١] سورة الحج، الآية: ٣٠.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إنّما الأئمّة قوام الله على خلقه، وعرفاؤه على عباده»[١]، فمعرفتهم وطاعتهم شرط للقرب الإلهي، وسخطهم سخط لله (عزَّ وجلَّ)، فرضاه من رضاهم وسخطه من سخطهم، وسروره من سروهم، فقد ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «مَنْ سَرَّ مُؤْمِنًا فَقَدْ سَرَّنِي، ومَنْ سَرَّنِي فَقَدْ سَرَّ اللَّه»[٢]، فسرور النبيّ صلى الله عليه وآله، هو سرور الله تعالى والأئمّة هم امتداد للنبيّ صلى الله عليه وآله.

وفي الزيارة الجامعة الكبيرة الواردة عن الإمام الجواد عليه السلام: «بكم فتح الله، وبكم يختم، وبكم ينزّل الغيث، وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، وبكم ينفس الهم، وبكم يكشف الضرّ، وعندكم ما ينزل به رسله، وهبطت به ملائكته، وإلى جدّكم بعث الروح الأمين»، فهذا بيانٌ لعظمتهم ومنزلتهم. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في حديثٍ طويل: « .. لما رأى اسمي واسم عليٍ وابنتي فاطمة والحسن والحسين، وأسماء أولادهم مكتوبًا على ساق العرش بالنور قال: إلهي وسيدي هل خلقت خلقًا هو أكرم عليك منّي؟ فقال: يا آدم لولا هذه الأسماء لما خلقت سماء مبنية، ولا أرضًا مدحيةً، ولا مَلَكًا مقربًا، ولا نبيًّا مرسلاً، ولا خلقتك يا آدم..»[٣].

فإذا كانت الكائنات كلّها خُلقت لأجلهم، فبطريق أولى يكون سخطهم هو الحاكم على ما سواهم، ورضاهم هو الميزان في القرب من الله تعالى؛ فمَن أراد القرب من الله، فلا بدّ أن يطلبه من خلال أبوابه، وهم الأئمّة عليهم السلام، كما قال الله تعالى: ﴿**وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**﴾[٤]، فهم مظاهر إرادته ومجاري نور الله، فمَن تباعد عنهم، تباعد عن النور الإلهي. ومن هنا، فإنّ بناء العلاقة مع الإمام الحُجّة يتطلّب من المؤمن أن يُربيّ نفسه على مراقبة قلبه وسلوكه، وتحرّي رضا الإمام في

[١] نهج البلاغة، ٧٣٦.

[٢] الكليني، الكافي، ٢/ ١٨٨، ب، إدخال السرور على المؤمنين، ح١.

[٣] النّيسابوريّ، روضة الواعظين، ص٨٤.

[٤] سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

الصغيرة قبل الكبيرة؛ لأنّ رضا الإمام هو عين رضا المولى (عزَّ وجلَّ).

فلا بدّ من اجتناب الذنوب الظاهرة والباطنة؛ لأنّ الإمام لا يرضى بها، والحذر أيضًا من المواقف التي تمثّل انحرافًا عن خطّ أهل البيت عليهم السلام: كالانحراف الفكري، أو دعم من يعاديهم، أو الرضا بمنكر، والتجنّب عمّا يوجب سخطه (صلوات الله عليه)، والذي منه اللامبالاة بمشروعه الإصلاحي، أو التقاعس عن التمهيد له، فنسأل الله تعالى أن نكون ممّن يفوز بدعائه، ويحظى برضاه، إنّه جواد كريم.

ثالثًا: المنظومة التربويّة في الوصية، وقد يستفاد منها:

١. تربية الحبّ الواعي: الإمام عجل الله فرجه لا يكتفي بالحبِّ القلبي، بل يشترط أن يكون حبًّا منتجًا، يدفع إلى الالتزام والتزكيّة، وبهذا يصبح الحبّ قاعدةً تربويّة.

٢. الرقابة الذاتيّة: من المفاهيم التربوية الكبرى في الوصية أنّ الإنسان يقيّم أفعاله من خلال معيار: هل هذا العمل يقربني من محبّتهم؟ أم يدنيني من كراهيتهم؟

٣. تحفيز الإرادة الفرديّة: الإمام يخاطب كلّ فردٍ مسؤولٍ عن نفسه، وهذا غرسٌ لروح المسؤوليّة.

٤. الربط بين الظاهر والباطن: السلوك الخارجي ينبغي أن يعكس محبّةً داخليّةً، لا انفصام بين الشعور والعمل.

٥. تربية النفس في زمن الغَيبة: حين يغيب الإمام عليه السلام، يكون الميزان هو الوصايا، وبهذا يبقى الخطّ الأخلاقي حاضرًا، فتتربّى النفوس على الإخلاص حتى لو لم يكن الإمام عليه السلام ظاهرًا للعيان.

رابعًا: آثار الالتزام بالوصيّة على الفرد والمجتمع على الفرد:

أ- أمّا على الفرد:

١. يصبح أكثر صفاءً نفسيًّا.

٢. يعيش حالة مراقبةٍ ذاتيّةٍ دائمة.

٣. يتحول إلى شخصيّةٍ فاعلةٍ إيجابيّة.

٤. لا يتهاون في المعاصي أو التقصير.

ب- وأمّا على المجتمع:

١. تتشكل بيئةٌ قائمةٌ على الحبّ الحقيقي لأهل البيت عليهم السلام.

٢. تنتشر ثقافة الإصلاح الذاتي والجماعي.

٣. تُصان الهويّة الدينيّة في ظلّ التحدّيات والانحرافات.

الخاتمة

من خلال هذا البحث تبيّن أنّ التربية في الإسلام هي عمليةٌ شاملةٌ ومتكاملة، تبدأ من الذات وتمتد إلى المجتمع، وهي ليست نظريةً فقط، بل سلوك وعمل دائم. وتوصلنا إلى النتائج الآتية:

١. التربية في المنهج الإسلامي تقوم على تزكية النفس وربطها بالله تعالى.

٢. للأئمّة عليهم السلام دورٌ أساس في التربية عبر القول، والفعل، والسلوك.

٣. وصية الإمام الحجّة عجل الله فرجه الشريف تشكّل قاعدةً تربويّةً أخلاقيّةً عظيمة، تؤسّس لمسارٍ عمليّ متينٍ للمنتظرين.

٤. الالتزام بهذه الوصيّة يضمن للإنسان السير في خطّ الهداية، ويحقّق في المجتمع بيئةً إيمانيّةً فاعلة.

نسأل الله تعالى العلي القدير أن يوفّقنا للعمل بما يقرّبنا من محبّة إمام زماننا، وأن يجنّبنا ما يسخطه، وأن يجعلنا من الممهّدين لظهوره، والمسارعين لقضاء حوائجه، والداعين لأمره، والمشمولين بدعائه، بحقّ محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين.

المصادر

القرآن الكريم.

١. ابن إدريس الحليّ، الشيخ محمّد بن منصور بن أحمد، مستطرفات السرائر، (ت٥٩٨هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق، الناشر، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين - قم المشرّفة، ط١٤١١،٢هـ.

٢. ابن الفتال النّيسابوريّ، الشّيخ محمّد، روضة الواعظين، (ت٥٠٨هـ)، تقديم، السيّد محمّد مهديّ السيّد حسن الخرسان، النّاشر، منشورات الشـريف الرّضيّ- قم.

٣. ابن شاذان، سديد الدين شاذان بن جبرئيل القمي، الروضة في فضائل أمير المؤمنين (ع)، (ت ٦٦٠)، تحقيق، علي الشكرچي، ط١، ١٤٢٣هـ

٤. ابن فارس، أحمد بن زكريّا، معجم مقاييس اللّغة، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، الناشر: مكتبة الإعلام الإسلاميّ - إيران، ط١٤٠٤هـ.

٥. ابن منظور، محمّد بن مكرم الإفريقيّ المصـريّ، لسان العرب، (ت٧١١هـ)، الناشر: أدب الحوزة - قم المشرّفة، ط١٤٠٥هـ.

٦. الإربليّ، عليّ بن عيسى بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، (ت٦٩٣هـ)، النّاشر، دار الأضواء - بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٧. الأندلسيّ، علي بن حزم، طوق الحمامة في الأُلْفَةِ والأُلَّاف، (ت ٤٥٦هـ)، الناشر، مؤسسّة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، ٢٠١٦م.

٨. الجابلقيّ البروجرديّ، السيّد عليّ أصغر ابن العلاّمة السيّد محمّد شفيع، طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، (ت١٣١٣هـ)، تحقيق، السيّد مهدي الرجائيّ، الناشر، مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ- قمّ، ط١، ١٤١٠هـ.

٩. الحائريّ، الشيخ علي اليزدي، إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب، (ت١٣٣٣هـ)،

تحقيق، السيد علي عاشور.

١٠. الحرّانيّ، بن شعبة، الحسن بن علي بن الحسين، تحف العقول عن آل الرّسول، (ق٤هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاريّ، النّاشر، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ التّابعة لجماعة المدرّسين بقم، ط٢، ١٤٠٤هـ.

١١. الحميريّ، الشّيخ عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، (ت٣٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث- قمّ، ط١، ١٤١٣هـ

١٢. الراغب الأصفهانيّ، أبو القاسم الحسين بن محمّد، مفردات في غريب القرآن، (ت٥٠٢هـ)، الناشر، دفتر نشر الكتاب، ط٢، ١٤٠٤هـ.

١٣. الصّحيفة السّجاديّة، للإمام عليّ بن الحسين عليه السلام (ت٩٤هـ)، النّاشر، دفتر نشر الهاديّ- قم، ط١، ١٤١٨هـ.

١٤. الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ، الخصال، (ت٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق، علي أكبر غفاري، الناشر، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة - قم المشرّفة، ط١٤٠٣هـ.

١٥. ----------، علل الشرائع، (ت٣٨١هـ)، تحقيق، السيّد محمّد صادق بحر العلوم، الناشر، منشورات المكتبة الحيدريّة - النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ.

١٦. ----------، عيون أخبار الرضا، (ت٣٨١هـ)، تحقيق، الشيخ حسين الأعلميّ، الناشر، مؤسّسة الأعلميّ - بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

١٧. ----------، مَنْ لا يحضره الفقيه، (ت٣٨١هـ)، تحقيق، عليّ أكبر الغفاريّ، الناشر، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين - قم المشرّفة، ط١٤٠٤/٢هـ.

١٨. الطّبرسيّ، الشّيخ أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج (ق٦هـ)، تحقيق، الشّيخ إبراهيم البهادريّ، والشّيخ محمّد هادي بِهْ، إشراف: الشّيخ جعفر السّبحانيّ، النّاشر، دار الأُسوة، ط٤، ١٤٢٤هـ.

١٩. الطّبريّ الصّغير، الشّيخ محمّد بن جرير بن رستم، دلائل الإمامة، (ق٥هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة البعثة- قم، ط١، ١٤١٣هـ.

٢٠. الطوسيّ شيخ الطائفة محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ)، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشّي)، تصحيح وتعليق، مير داماد الأسترآبادي، تحقيق، السيد مهدي الرجائي،

الناشر، مؤسّسة آل البيت ؑ لإحياء التراث، المطبعة بعثت – قمّ، سنة ١٤٠٤هـ.
٢١. ----------، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي، الناشر، مكتب الإعلام الإسلامي طبع على مطابع، مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، رمضان المبارك ١٢٠٩ هـ.
٢٢. ----------، مصباح المتهجّد، النّاشر، مؤسّسة فقه الشّيعة - بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
٢٣. الطّوسيّ، الحسن بن محمّد بن الحسن، الأمالي، (ت٥١٥هـ)، تحقيق، بهزاد الجعفريّ، وعلي أكبر الغفاريّ، النّاشر، دار الكتب الإسلامية- طهران، ط١، ١٣٨٠ش.
٢٤. العامليّ، الشّيخ محمّد بن مكيّ (الشّهيد الأوّل)، الدّرّة الباهرة مِنَ الأصداف الطّاهرة، (ت٧٨٦هـ)، تحقيق وترجمة، عبد الهادي مسعوديّ، النّاشر، انتشارات زائر، ط، ١٣٧٩ش.
٢٥. العسكريّ، أبوهلال الحسن بن عبد الله، الأمثال، (ت بعد٣٩٥هـ)، تحقيق وتعليق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، النّاشر، دار الجيل- بيروت، ط٢، ١٣٨٤هـ.
٢٦. العلياري التبريزي، الحاج ملا علي، بهجة الآمال في شرح زبدة المقال، (ت١٣٢٧هـ)، تحقيق: حائرى جعفر، الناشر، بنياد فرهنگ اسلامى كوشانپور - إيران – تهران، ط٢، ١٤١٢هـ.
٢٧. الفيض الكاشانيّ، المولى محمّد محسن(ت١٠٩١هـ)، تفسير الصّافي، تحقيق وتعليق، الشّيخ حسين الأعلميّ، النّاشر: مكتبه الصّدر- طهران، ط٢، ١٤١٦هـ.
٢٨. ----------، الوافي، تحقيق: ضياء الدِّين الحسينيّ الأصفهانيّ، النّاشر: مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام العامّة - أصفهان، ط١، ١٤٠٦هـ.
٢٩. قطب الدِّين الراونديّ، سعيد بن هبة الله، مكارم أخلاق النبيّ والأئمّة (ع)، (ت٥٧٣هـ)، تحقيق، حسين الموسوى، الناشر: العتبة العبّاسيّة المقدّسة مكتبة ودار مخطوطات، ط١، ١٤٣٠هـ.
٣٠. الكراجكيّ، الشّيخ محمّد بن عليّ، كنز الفوائد، (ت٤٤٩هـ)، النّاشر، مكتبة المصطفويّ- قم، ط٢، ١٣٦٩ش.
٣١. الكفعمي، الشيخ إبراهيم، البلد الأمين والدرع الحصين، (ت٩٠٥)، الناشر، مكتبة

الصدوق، ط، ١٣٨٣هـ.
٣٢. الكلينيّ الرّازيّ، الشّيخ محمّد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، (ت٣٢٨هـ أو ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاريّ، النّاشر، دار الكتب الإسلاميّة - طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ.
٣٣. المفيد، الشّيخ محمّد بن محمّد بن النّعمان العكبريّ البغداديّ، مزار، (ت٤١٣هـ)، تحقيق: السيد محمّد باقر الأبطحي، الناشر، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ.
٣٤. الموفق بن أحمد بن محمّد المكيّ الخوارزميّ، مناقب، (ت٥٦٨هـ)، تحقيق، الشّيخ مالك المحموديّ، مؤسّسة سيّد الشّهداء، النّاشر، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ التّابعة لجماعة المدرّسين بقم، ط٢، ١٤١٤هـ.
٣٥. نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام تحقيق، ما أختاره وجمعه الشريف الرضي، ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلمية: الدكتور صبحي صالح، ط١، ١٣٨٧هـ.
٣٦. النّوريّ، الميرزا حسين الطّبرسيّ، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، (ت١٣٢٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث – بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.